

سِفْرُ أَيُّوبَ

المحاضرة ٥: التَّحَاجُّجُ مَعَ اللَّهِ

ديرىك توماس

سَبَدْنَا الْآنَ الْمُحَاَصِرَةَ ٥، وَسَتَأْمَلُ فِي الْأَصْحَاحِينَ ٨ وَ ٩ مِنْ سِفْرِ أَيُّوبَ. فِي الْأَصْحَاحِ ٨، يَدْخُلُ ثَانِي مُعَرِّي أَيُّوبَ، وَيُدْعَى بِلَدِّ الشُّوْحِيِّ، بِالطَّبْعِ تَمَّتِ السُّخْرِيَّةُ مِنْهُ بِسَبَبِ مَدَى قِصْرِهِ، "فَأَجَابَ بِلَدِّ الشُّوْحِيِّ وَقَالَ: إِلَى مَتَى تَقُولُ هَذَا، وَتَكُونُ أَقْوَالُ فَيْكَ رِيحًا شَدِيدَةً؟" هَذَا لَيْسَ مُهَذَّبًا بِالطَّبْعِ. "هَلِ اللَّهُ يُعَوِّجُ الْقَضَاءَ، أَوِ الْقَدِيرُ يَعْكِسُ الْحَقُّ؟"

مَاذَا يَقُولُ بِلَدِّ؟ إِنَّهُ أَكْثَرُ تَهَوُّرًا مِنْ أَلِفَازٍ. فَهُوَ فِي الْعَالِبِ أَصْعَرُ مِنْ أَلِفَازٍ. وَقَدْ دَخَلَ الْمَشْهَدَ وَيَقُولُ: "هَلِ اللَّهُ يُعَوِّجُ الْقَضَاءَ؟" هَلِ يُنَحِّي اللَّهُ الْقَضَاءَ جَانِبًا مِنْ أَجْلِكَ يَا أَيُّوبُ؟ هُنَاكَ مَبْدَأٌ وَنِظَامٌ فِي الْعَالَمِ. فَهَلِ سَيُعَيِّرُ اللَّهُ ذَلِكَ النِّظَامَ، هَلِ سَيَقْلِبُهُ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ مِنْ أَجْلِكَ؟ مَا هَذَا النِّظَامُ الَّذِي فِي الْعَالَمِ؟ لَقَدْ تَطَرَّفْنَا إِلَيْهِ فِي الْمُحَاَصِرَةِ السَّابِقَةِ. النِّظَامُ الَّذِي نَطْقُ بِهِ أَلِفَازًا فِي الْأَصْحَاحِ ٤. أَنْتَ تَحْصُدُ مَا تَزْرَعُهُ. أَنْتَ تَأْخُذُ مِنَ الْحَيَاةِ مَا تَضَعُهُ فِيهَا. لَا أَكْثَرُ وَلَا أَقَلَّ.

إِنَّ كَالْفَيْنِ، الَّذِي أَلْفَى ١٥٩ عِظَةً مِنْ سِفْرِ أَيُّوبَ فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ ١٦ فِي مَدِينَةِ جُنَيْفِ، قَالَ فِي عِظَتِهِ الْأُولَى: "كَانَ لَدَى أَصْدِقَاءِ أَيُّوبَ حُجَّةٌ شَرِيرَةٌ لِلْعَايَةِ، لَكِنَّهُمْ دَافَعُوا عَنْهَا بِبِرَاعَةٍ شَدِيدَةٍ. أَمَّا أَيُّوبُ فَكَانَتْ حُجَّتُهُ فِي غَايَةِ النُّبْلِ لَكِنَّهُ قَدْ دَافَعَ عَنْهَا بِضَعْفٍ شَدِيدٍ". تَمَثَّلَتْ حُجَّةُ أَصْدِقَاءِ أَيُّوبَ فِي أَنَّ الْأَلَمَ هُوَ دَائِمًا عُقُوبَةٌ. إِنَّهُ دَوْمًا بِلا تَغْيِيرٍ وَبِلا اسْتِثْنَاءٍ عِقَابٌ إِلَهِيٌّ. فَهَذَا هُوَ قَانُونُ الْكُونِ، وَهَذَا هُوَ مَفْهُومُهُمْ عَنِ اللَّهِ. الْآنَ وَهَنَا، عَلَيْكُمْ إِذْرَاكُ أَنَّ أَلِفَازَ التَّيْمَانِيِّ وَبِلَدِّ الشُّوْحِيِّ وَصُوفَرَ التَّعْمَاتِيِّ وَأَلِيَهُوَ لَاحِقًا، لَيْسُوا لِيَبْرَالِيَيْنِ ضَعَفَاءَ. فَهَمُ يُؤْمِنُونَ بِالْقَانُونِ، وَيُؤْمِنُونَ بِالْعَدْلِ، وَيُؤْمِنُونَ بِسِيَادَةِ اللَّهِ. فَهَمُ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ يُعَاقِبُ. وَيُؤْمِنُونَ بِغَضَبِ اللَّهِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ لِيَا، فَهَمُ لَيْسُوا لِيَبْرَالِيَيْنِ جُبْنَاءَ. بَلْ إِنَّهُمْ مُدَافِعُونَ أَشِدَاءَ عَنِ سِيَادَةِ اللَّهِ. لَكِنْ، عِنْدَ تَطْبِيقِهِمْ لِهَذَا الْحَقِّ، ابْتَعَدُوا عَنِ الْهَدَفِ.

فَهَذَا آتَى بِلَدِّ فِي الْأَصْحَاحِ ٨ وَالْآيَةِ ٣ قَائِلًا: "هَلِ اللَّهُ يُعَوِّجُ الْقَضَاءَ؟" هَلِ يُنَحِّي الْقَضَاءَ جَانِبًا فِي بَلِيَّتِكَ؟ كُلُّ إِنْسَانٍ آخَرَ يَتَّفِقُ مَعَ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ الْكُونِيَّةِ - أَنْتَ تَحْصُدُ مَا تَزْرَعُهُ. لَكِنْ لَيْسَ فِي حَالَتِكَ. هَلِ هَذَا مَا عَلَيْنَا فَهَمُ بِمَا أَنَّ أَيُّوبَ يَحْتَجُّ أَنَّهُ بَرِيءٌ؟" أَوِ الْقَدِيرُ يَعْكِسُ الْحَقُّ؟"

ثُمَّ نَنْتَقِلُ إِلَى الْآيَةِ ٦: "إِنَّ كُنْتَ أَنْتَ زَكِيًّا مُسْتَقِيمًا، فَإِنَّهُ الْآنَ يَنْبَهُ لَكَ وَيُسَلِّمُ مَسْكَنَ بَرِّكَ". بِمَعْنَى، إِنْ كَانَتْ شِكَايَةُ أَيُّوبَ بِرِأَيْتِهِ صَاحِيحَةً، فَاللَّهُ سَيَدْخُلُ وَيُعَافِيهِ. فَحَقِيقَةُ أَنَّهُ لَمْ يَتَعَافَ، وَحَقِيقَةُ أَنَّ صِحَّةَ أَيُّوبَ لَا تَزَالُ تَزِيدُ سُوءًا، وَتُهَدِّدُ حَيَاتَهُ، خَيْرٌ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ تَحْتَ دَيْنُونَةٍ مِنَ اللَّهِ. وَدَيْنُونَةُ اللَّهِ لَنْ تَنْزِلَ بِهِ سِوَى لِسَبَبٍ وَاحِدٍ أَلَا وَهُوَ أَنَّهُ حَاطِيٌّ،

بِسَبَبِ أَنَّهُ قَدْ ارْتَكَبَ فِعْلًا شَرِيرًا سَوَاءَ الْآنَ أَوْ فِي الْمَاضِي فِي شَبَابِهِ، وَرَبَّمَا حَتَّى قَدْ نَسِيَهُ. لَكِنْ هَذَا هُوَ قَانُونُ الْكُونِ، فَكَيْفَ يُمَكِّنُ قَلْبُ هَذَا الْقَانُونِ رَأْسًا عَلَى عَقَبِ لِمَجْرَدِ جَعْلِهِ يَتَوَافَقُ مَعَ مَقَاصِدِ أَيُّوبَ؟

مِنْ ثَمَّ، إِذْ تَقَدَّمْتُمْ إِلَى قُرَابَةِ نَهَائِهِ مَقْطَعِ بِلَدَدِ الْأَوَّلِ، فِي الْآيَةِ ٢٠ مِنْ الْأَصْحَاحِ ٨، نَجِدُهُ يَقُولُ: "هُوَذَا اللَّهُ لَا يَرْفُضُ الْكَامِلَ، وَلَا يَأْخُذُ بِيَدِ فَاعِلِي الشَّرِّ". اللَّهُ لَا يَرْفُضُ الْكَامِلَ الَّذِي بِلَا لَوْمٍ، وَالْبَارَّ الْمُسْتَقِيمَ. أَيُّوبُ إِنْسَانٌ تَقِيٌّ. فَاللَّهُ لَا يَرْفُضُ الْإِنْسَانَ التَّقِيَّ. فَإِنْ كَانَ تَقِيًّا، وَإِنْ كَانَ مَا يَقُولُهُ عَنْ نَفْسِهِ صَحِيحًا، فَاللَّهُ سَيَتَدَخَّلُ وَجُلَّصُهُ. لَكِنَّ الْوَاقِعَ هُوَ أَنَّهُ لَا يَبْدُو أَيَّ دَلِيلٍ عَلَى هَذَا الدِّفَاعِ، لِيَا فَحَتَّمَا أَيُّوبُ مُحْطَى، وَكَلَامُهُ بَاطِلٌ، وَقَدْ أَسَاءَ الْفَهْمَ. وَلَدَى مُعْزِي أَيُّوبَ وَجْهَةٌ النَّظَرِ الصَّحِيحَةُ لِلْأُمُورِ. أَنْتِ تَحْصُدُ مَا تَزْرَعُهُ. فَالْأَلَمُ عِقَابٌ فَوْرِيٌّ دَائِمًا بِكُلِّ صُورَةٍ مُمَكِّنَةٍ بِدُونِ اسْتِثْنَاءٍ.

وَبَلَدُ، مِثْلَ سَلْفِهِ أَلِيْفَارُ، لَدَيْهِ مَا قَدْ يُطْلَقُ عَلَيْهِ "السِّجْلُ التَّقْدِيرِي" لِمَفْهُومِ الْعَدَالَةِ. أَنْتِ تَنَالُ مَا تَسْتَحِقُّهُ. فَلِيَا يَتَحَدَّثُ أَيُّوبُ فِي الْأَصْحَاحِ ٩، وَأَنَا أُرِيدُكُمْ أَنْ تَنْتَقِلُوا مُبَاشَرَةً إِلَى خَاتِمَةِ مَا يَقُولُهُ فِي الْآيَةِ ٣٣: "لَيْسَ بَيْنَنَا مَصَالِحٌ". أَمَا فِي تَرْجَمَةِ إِي. إيس. في. (ESV)، فَتَنْقَعُ فِي مُشْكَلَةٍ مَا إِذَا كَانَ هَذَا التَّعْبِيرُ يُعَبِّرُ عَنْ أُمْنِيَّةٍ أَمْ تَعْبِيرٍ عَنْ حَقِيقَةٍ. فَإِذَا نَظَرْتُمْ إِلَى تَرْجَمَةِ إِي. إيس. في. سَتَجِدُونَ تَذْيِيلًا يَقُولُ: "هَلْ لَنَا أَنْ يَكُونَ بَيْنَنَا مَصَالِحٌ". وَكَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ التَّرْجَمَاتِ قَدْ تَعَكَّسَ ذَلِكَ، سَوَاءَ كَانَتْ أُمْنِيَّةً أَوْ رَغْبَةً أَوْ كَانَتْ حَقِيقَةً وَاقِعَةً. دَعُونَا نَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ: "لَيْسَ بَيْنَنَا مَصَالِحٌ يَصْعُ يَدَهُ عَلَى كَلِمَتِنَا". هَا هُوَ أَيُّوبُ. يُنَاجِي بِبَرَاءَتِهِ، يُحْمِلُ قَضِيَّةً. فَكَّرَ بِهَا كَمَا لَوْ أَنَّهَا قَضِيَّةُ أَمَامِ الْقَضَاءِ. فَكَّرَ بِهَا كَمَا لَوْ أَنَّهَا أَمَامَ دَارِ الْقَضَاءِ. وَهَذَا اللَّهُ، الَّذِي هُوَ الْقَاضِي. مَا مِنْ وَسِيطٍ. مَا مِنْ مَصَالِحٍ. فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى شَخْصٍ مَا يُمَثِّلُهُ. يَحْتَاجُ إِلَى شَخْصٍ مَا يُدَافِعُ عَنْ قَضِيَّتِهِ. يَحْتَاجُ إِلَى شَخْصٍ مَا يَأْتِي وَيُمَثِّلُهُ أَمَامَ الْقَدِيرِ. فَلِإِنَّا حَالِ أَيُّوبَ: "أَتَمَنَّى لَوْ كَانَ لِي هَذَا الشَّخْصُ" أَوْ كَمَا نَقَلْتُمَا تَرْجَمَةَ إِي. إيس. في.: "لَيْسَ لَدَيَّ هَذَا الشَّخْصُ". "لَيْسَ أُنِي فِي بَلِيَّتِي كَيْبٌ وَعَبِيرٌ مَفْهُومٌ فَحَسْبُ، بَلْ أَيْضًا لَيْسَ لِي مَنْ يُصْلِحُ وَضْعِي. لَيْسَ لِي مَنْ يُمَثِّلُ وَجْهَةَ نَظَرِي أَمَامَ اللَّهِ الْقَدِيرِ".

"لِيَرْفَعْ عَنِّي عَصَاهُ وَلَا يَبْعَثْنِي رُغْبَهُ" الْآيَةِ ٣٤. "إِذَا أَتَكَلَّمْتُ وَلَا أَخَافُهُ، لِأَنِّي لَسْتُ هَكَذَا عِنْدَ نَفْسِي". لَا شَيْءَ يُوَازِي الشُّعُورَ بِالْوَحْدَةِ، أَوْ الشُّعُورَ بِكَوْنِكَ شَخْصًا ثَانِيًا ضَيْلًا فِي كَوْنِ شَاسِعٍ لَا يُمَكِّنُ التَّحَكُّمَ فِيهِ وَلَا فَهْمَهُ، فِيهِ أَنْتِ سَجِينٌ بِتَهْمٍ بَاطِلَةٍ؛ أَوْ أَرْمَلَةٌ، وَكَانَتْ حَيَاتُكَ صَعْبَةً، فَقَدْ تَعَامَلْتِ بِالتَّحَدِيدِ مَعَ يَدِ قَسْتِ عَلَيْكَ؛ أَوْ كُنْتِ ضَحِيَّةً هُجُومٍ وَحِشِيٍّ؛ أَوْ أَنْتِ شَخْصٌ وَحِيدٌ؛ وَغَيْرَهَا مَلَائِينَ الاحْتِمَالَاتِ، وَتَقُولُ: "أَتَمَنَّى لَوْ كَانَ لِي شَخْصٌ يَقِفُ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ، بَيْنِي وَبَيْنَ الْخَالِقِ الْمُتَسَيِّدِ، بَيْنِي وَبَيْنَ إِلَهِي كُلِّي السِّيَادَةِ، لِلتَّرَافُعِ فِي قَضِيَّتِي". هَذَا مَا يَقْصِدُهُ.

فَفِي قَلْبِ هَذَا السِّفْرِ، تَرَوْنَ خَلْفَ ذَلِكَ أَيُّوبَ وَاللَّهُ. وَهَذَا الْإِلَهُ، نَعَمْ، إِنَّهُ إِلَهُ مُتَسَيِّدٌ وَعَادِلٌ. فَالسُّؤَالُ الَّذِي يُصَارِعُ مَعَهُ أَيُّوبُ هُوَ "هَلِ اللَّهُ صَالِحٌ؟" لَيْسَ صَالِحًا فِي الْمَطْلَقِ فَحَسْبُ بَلْ "هَلْ هُوَ صَالِحٌ مِنْ نَحْوِي؟" هَذَا مَا يُصَارِعُ مَعَهُ. وَالشَّيْطَانُ هُوَ مَنْ يَقِفُ وَرَاءَ هَذَا، وَيَدْعُوهُ لِلتَّشْكِيكِ. فَهُوَ مَنْ وَضَعَ مُسَبِّقًا هَذَا الْفِكْرَ فِي ذَهْنِ أَيُّوبَ: "لَا يُمَكِّنُ

الْوُثُوقُ بِاللَّهِ. فَعَدَلُهُ يَسِيرٌ فِي اتِّجَاهِهِ وَاحِدٍ مَعَ شَخْصٍ مَا، وَفِي اتِّجَاهِهِ آخَرَ مَعَ شَخْصٍ آخَرَ، فَمَا مِنْ مِقْيَاسٍ ثَابِتٍ. وَمَا مِنْ طَرِيقَةٍ لِلتَّبْتُؤِ بِهِ. فَالْحَيَاةُ تَبْدُو غَيْرَ عَادِلَةٍ.

الآن، دَعَوْنَا نَعُودَ إِلَى الْآيَةِ ١ مِنَ الْأَصْحَاحِ ٩، وَنَخْتَارُ بَعْضًا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي قَالَهَا أَيُّوبُ هُنَا. دَعَوْنَا أَوَّلًا نَنْظُرَ إِلَى طَبِيعَةِ اللُّغَةِ. فِي الْآيَةِ ٣، عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ: "إِنْ شَاءَ أَنْ يُحَاجَّهُ". فَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ اللَّهِ. رُبَّمَا يَجْدُرُ بِنَا الرُّجُوعُ إِلَى الْآيَةِ ٢: "فَكَيْفَ يَتَبَرَّرُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ اللَّهِ؟" أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ فَكَيْفَ يَتَبَرَّرُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ اللَّهِ؟ بِإِمْكَانِكُمْ أَخَذَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَالْوَعْدُ بِهَا وَحْدَهَا كَنَصِّ كِتَابِيٍّ. فَكَيْفَ يَتَبَرَّرُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ اللَّهِ؟ جَمِيعُنَا خُطَاةٌ وَأَشْرَارٌ. وَجَمِيعُنَا تَحْتَ دَيْنُونَةِ اللَّهِ. "أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلَا وَاحِدٌ؛ إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَاوُا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ". نَحْنُ نَحْتَاجُ إِلَى مُخْلِصٍ. نَحْتَاجُ إِلَى إِنْسَانٍ يَغْفِرُ لَنَا خَطَايَانَا. نَحْتَاجُ إِلَى الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. يُمَكِّنُكُمْ تَحْيُلُ هَذِهِ الْعِظَةِ. سَتَكُونُ عِظَةً رَائِعَةً، عِظَةً كِتَابِيَّةً إِلَّا أَنَّهَا بَعِيدَةٌ كُلُّ الْبُعْدِ عَنِ السِّيَاقِ نَفْسِهِ. هَذَا لَيْسَ مَا يَعْنِيهِ النَّصُّ. إِنَّهَا فِي سِيَاقٍ مُخْتَلِفٍ كَلِيًّا. "فَكَيْفَ يَتَبَرَّرُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ اللَّهِ؟" فَمُسْكِكَةُ أَيُّوبَ لَيْسَتْ خَطِيئَتُهُ، عَلَى الْأَقْلَ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ أَيُّوبَ. إِنَّهَا لَيْسَتْ خَطِيئَتُهُ. لِأَنَّ أَيُّوبَ يَقُولُ إِنَّهُ بَرِيءٌ. فَهُوَ لَمْ يَرْتَكِبْ أَيَّ خَطِيئَةٍ. هُوَ لَا يَقُولُ إِنَّهُ بِلا خَطِيئَةٍ، لَكِنَّ مُشْكِكَتَهُ هُنَا لَا تَتَعَلَّقُ بِخَطِيئَتِهِ.

المُشْكِكَةُ هُنَا تَتَعَلَّقُ بِعَدَالَةِ اللَّهِ. كَيْفَ يَكُونُ هَذَا عَدْلًا، كَيْفَ يَكُونُ مِنَ الصَّوَابِ أَنْ إِنْسَانًا لَمْ يَقْتَرِفْ أَيَّ إِثْمٍ مُحَدَّدٍ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ بِذَلِكَ؛ لَقَدْ كَانَ أَيُّوبُ رَجُلًا تَقِيًّا، كَيْفَ يَكُونُ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُعَاقِبَ اللَّهُ هَذَا الْإِنْسَانَ، وَيَضْرِبَ هَذَا الْإِنْسَانَ بِالْأَلَمِ وَالْمُعَانَاةِ وَالْمَرَضِ؟ فَمَاذَا يَقُولُ أَيُّوبُ؟ مَا يَقُولُهُ أَيُّوبُ هُوَ كَيْفَ تَنَالُ الْعَدْلَ مِنَ اللَّهِ؟ كَيْفَ بِإِمْكَانِي إِيجَادُ الْعَدْلِ؟ لِشَخْصٍ مَا فِي هَذَا الْمَوْقِفِ، وَرُبَّمَا أَيُّ مِنْكُمْ يَعْرِفُ شَخْصًا مَا فِي هَذَا الْمَوْقِفِ؛ شَخْصًا مَا أَنْتَهِكَ بِفِطْرَتِهِ، وَلَمْ يَقْبِضْ عَلَى الْحَاجِي؛ يَشْعُرُونَ كَمَا لَوْ أَنَّ الْعَدْلَ قَدْ وُلِيَ، لَيْسَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ فَحَسْبُ، بَلْ مِنْ اللَّهِ نَفْسِهِ. لَقَدْ أَخَذُوا هَذِهِ الْمُسْكِكَةَ، وَأَحْضَرُوهَا أَمَامَ الرَّبِّ، وَوَضَعُوهَا أَمَامَهُ، مَا مِنْ عَدْلٍ. أَيْنَ هِيَ الْعَدَالَةُ، إِنْ شَاءَ أَنْ يُحَاجَّهُ؟ "يُحَاجُّ" الْآيَةُ ٣.

انظروا إلى الآية ١٤: "كَمْ بِالْأَقْلَ أَنَا أَجَاوِبُهُ؟" وَفِي الْوَاقِعِ قَدْ يَتَرَجَّمُ الْفِعْلُ إِلَى "يُحَاجُّ". لَاحِظُوا كَيْفَ يُوَأَصِلُ كَلَامُهُ: "وَأَخْتَارُ كَلَامِي مَعَهُ" كَمَا تَفْعَلُونَ فِي إِبْدَاءِ الْحُجَّةِ. الْأَمْرُ يُشْبِهُ دَارَ الْقَضَاءِ. كَيْفَ أَرْفَعُ قَضِيَّةً؟ كَيْفَ أُحَاجُّ بِكَلِمَاتِي؟

انظروا إلى الآية ١٥: "لِأَنِّي وَإِنْ تَبَرَّرْتُ لَا أَجَابُ، بَلْ أَسْتَرْحِمُ دِيَانِي". اللَّهُ لَا يَتَحَدَّثُ إِلَيَّ. اللَّهُ لَا يَتَحَدَّثُ إِلَى أَيُّوبَ. أَيْنَ سَيَذْهَبُ لِيَجِدَ الْعَدَالَةَ؟ كَيْفَ سَيَتَحَاجُّ مَعَ اللَّهِ؟ اللَّهُ ذُو السِّيَادَةِ. هُوَ الْخَالِقُ. وَهُوَ خَفِيٌّ عَنِ الْعُيُونِ. فَأَيُّوبُ يُؤْمِنُ بِسِّيَادَةِ اللَّهِ. وَيُؤْمِنُ بِسُمُو اللَّهِ. يُؤْمِنُ أَيُّوبُ، كَمَا نَقُولُ، "بِإِلَهِ عَظِيمٍ"، إِلَهٍ مِنْ خَارِجِ الْخَلِيقَةِ، إِلَهٍ فِي كَيْنُونَتِهِ، إِلَهٍ مُتَسَامٍ. "كَيْفَ أَحْصُلُ عَلَى الْعَدْلِ؟ كَيْفَ لِي، كَيْفَ لِي أَنْ أُدَافِعَ عَنْ قَضِيَّتِي؟ كَيْفَ أَجْعَلُ اللَّهَ يَسْمَعُنِي؟" هَلِ انْتَابَكَ

شُعورٌ مُمَائِلٌ قَبْلًا حِيَالَ أَمْرٍ مَا؟ فَالطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي بِهَا يُسْمَعُ لَكَ، هِيَ الصَّلَاةُ. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ أَنْتُمْ تُصَلُّونَ. هَلْ سَبَقَ لَكُمْ أَنْ شَعَرْتُمْ يَوْمًا أَنَّ صَلَاتِكُمْ أَحْيَانًا تَرْجِعُ إِلَيْكُمْ فَارِعَةً؟ لَا تَذْهَبُ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ. وَلَا تَخْتَرِقُ السَّقْفَ وَاللَّهُ لَا يُنصِتُ إِلَيْهَا وَلَا يَسْمَعُهَا حَتَّى. إِنَّهُ فِي لُبِّ هَذَا السَّفْرِ، وَنَحْنُ اقْتَرَبْنَا مِنْ هَذَا اللَّبِّ، يَلُوحُ الشُّكُّ الْمُوَرَّقُ، مِنْ جَانِبِ أُيُوبَ، بِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ الْوُثُوقُ بِاللَّهِ. وَبِأَنَّهُ غَيْرُ مَدْعَاةٍ لِلثِّقَةِ. هَذِهِ إِحْدَى الْمَسَائِلِ الرَّعَوِيَّةِ حِيَالَ الْأَمِّ وَالتَّجَارِبِ وَالصُّعُوبَاتِ وَالشُّعُورِ بِالظُّلْمِ، وَغَيْرِهَا. فِيهَا تَصِلُ إِلَى نُقْطَةٍ تَبْدَأُ فِيهَا الشُّكُّ فِي اللَّهِ، وَفِي عِنَايَتِهِ الْإِلَهِيَّةِ. وَتَشُكُّ فِي دَافِعِهِ. رَبِّمَا يَكُونُ صَالِحًا لِآخِرِينَ. نَعَمْ، رَبِّمَا يَسْتَجِيبُ لِصَلَوَاتِ الْآخِرِينَ. وَأَنْتِ تَفْرُحُ، وَتَبْعَثُ بِرَسَائِلَ عَنْ رَوْعَةِ اسْتِجَابَةِ اللَّهِ لِآخِرِينَ! لَكِنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ صَلَوَاتِكُمْ. بَعْضُكُمْ صَلَّى مِنْ أَجْلِ أَمْرٍ مَا ٢٠ أَوْ ٣٠ أَوْ ٤٠ أَوْ ٥٠ سَنَةً. "فَكَيْفَ أَجِدُ الْعَدْلَ؟"

انظُرُوا مُجَدِّدًا إِلَى الْآيَاتِ ٣ وَ ٤ وَ ٥: "إِنْ شَاءَ أَنْ يُجَاهَهُ، لَا يُجِيبُهُ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ أَلْفٍ". أَتَفْهَمُونَ مَا يَقُولُهُ هُنَا؟ "لَا يُجِيبُهُ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ أَلْفٍ". لَوْ تَكَلَّمَ اللَّهُ، كَيْفَ كَانَ أُيُوبُ لِيُجِيبَ؟ "هُوَ حَكِيمُ الْقَلْبِ وَشَدِيدُ الْقُوَّةِ. مَنْ تَصَلَّبَ عَلَيْهِ فَسَلِمَ؟" نَعَمْ، هُوَ يُؤْمِنُ بِحِكْمَةِ اللَّهِ، وَيُؤْمِنُ بِسُلْطَانِ اللَّهِ، وَقُدْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ لَكِنْ يُوجَدُ هُنَا مُنْعَطَفٌ: "مَنْ تَصَلَّبَ عَلَيْهِ" مَنْ تَصَلَّبَ عَلَيْهِ فَسَلِمَ؟" كَمَا تَعْلَمُونَ، قَدْ أَقُومُ عَلَى اللَّهِ وَأَعْتَرِضُ بِأَنَّ طُرُقَهُ لَيْسَتْ عَادِلَةً. لَكِنْ، مَنْ نَجَحَ أَوْ سَلِمَ قَطُّ فِي ذَلِكَ؟ كَيْفَ عَلَى الْأَرْجَحِ سَأَنْجُحُ؟ كَيْفَ أَسْتَطِيعُ التَّقَدُّمَ أَمَامَ إِلَهٍ مُتَسَيِّدٍ، إِلَهٍ كُلِّ الْحِكْمَةِ وَكُلِّ الْقُدْرَةِ، وَأَنْتَظِرُ أَنْ يُنصِتَ إِلَيَّ احْتِجَاجَاتِي؟ فَمَنْ سَبَقَ لَهُ أَنْ نَجَحَ فِي ذَلِكَ؟ "الْمُرْحَرِحُ" فِي الْآيَةِ ٥: "الْمُرْحَرِحُ الْجِبَالِ وَلَا تَعْلَمُ، الَّذِي يَقْلِبُهَا فِي غَضَبِهِ. الْمُرْعَرِغُ الْأَرْضَ مِنْ مَقَرِّهَا، فَتَتَزَلَّزَلُ أَعْمِدَتُهَا"، زَلَزِلْ وَمَا إِلَى ذَلِكَ. أُيُوبُ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ صَاحِبِ السِّيَادَةِ. وَيُؤْمِنُ فِي إِلَهٍ قَوِيٍّ وَكُلِّ الْقُدْرَةِ، وَلَهُ قُوَّةُ الْخَلْقِ.

انظُرُوا الْمُلَخَّصَ فِي الْآيَةِ ٢٤: "الْأَرْضُ مُسَلَّمَةٌ لِيَدِ الشَّرِيرِ. يُعْشَى وَجُوهَ قُضَائِيهَا. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ، فَإِذَا مَنْ؟" حِينَ يَأْتِي الْمَوْتُ، حِينَ تَحِلُّ الْمُصِيبَةُ فَجْأَةً، إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ هُوَ مَنْ يَجْلُبُ هَذَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ هُوَ الْمَسْئُولُ عَنْ هَذَا، إِذَنْ مَنْ؟ فَأَيُّوبُ يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ. أُيُوبُ يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ يَمْتَلِكُ الْقُدْرَةَ عَلَى فِعْلِ مَا يَفُوقُ إِدْرَاكَهُ.

انظُرُوا إِلَى الْمَقْطَعِ الْأَخِيرِ فِي الْآيَةِ ١٢: "وَمَنْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ؟" كَيْفَ تَقْدِرُ، أَوْ كَيْفَ تَسْتَطِيعُ التَّقَدُّمَ إِلَى اللَّهِ وَالْقَوْلَ: "مَاذَا تَفْعَلُ؟ مَاذَا تَظُنُّ نَفْسَكَ فَاعِلًا؟" هَلْ سَبَقَ أَنْ قُلْتَ هَذَا لِأَحَدٍ؟ يَفْعَلُونَ شَيْئًا يَبْدُو سَخِيفًا، فَتُثَوِّرُ عَلَيْهِمْ قَائِلًا: "مَاذَا تَظُنُّونَ أَنْفُسَكُمْ فَاعِلِينَ؟ هَذِهِ لَيْسَتْ طَرِيقَةً فِعْلِ الْأَمْرِ"، ثُمَّ تَأْخُذُهُ مِنْهُمْ لِتُظْهِرَ لَهُمْ كَيْفَ يَجِبُ فِعْلُهُ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ. "وَمَنْ يَقُولُ لَهُ"، مَنْ يَقُولُ لِلَّهِ الْمُتَسَيِّدِ، إِلَهِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، إِلَهِ الزَّلَازِلِ وَالْأَعَاصِرِ وَالْعَوَاصِفِ الرَّعْدِيَّةِ، "وَمَنْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ؟"

وَهَذَا، فِي الْآيَةِ ١٣ نَقَرْنَا: "اللَّهُ لَا يَرُدُّ غَضَبَهُ. يَنْحِي تَحْتَهُ أَعْوَانُ رَهَبٍ". لَا بُدَّ مِنْ أَنْ نُعَلِّقَ بِشَيْءٍ عَلَى هَذَا. فِي الشَّرْقِ الْأَدْنَى الْقَدِيمِ، كَانَتْ هُنَاكَ بَعْضُ الْأَسَاطِيرِ عَنِ الْحَلِيقَةِ. فَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ أَيُّوبَ عَلَى دِرَايَةٍ بِهَا، فَأَحَدُهَا كَانَ تَأْثِيرَ رَهَبٍ. فَقَدْ كَانَ هَذَا جُزْءًا مِنْ مُعْتَقَدَاتِ أَدْيَانِ الشَّرْقِ الْأَدْنَى الْقَدِيمِ. وَالْأَمْرُ عَيْنُهُ يَنْطَبِقُ عَلَى لَوِيَانَانَ وَبِهَيْمُوثَ، رَبَّمَا، لِاحِقًا فِي سَفَرِ أَيُّوبَ، فِي الْأَصْحَاحَاتِ الْخِتَامِيَّةِ مِنَ السَّفَرِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ. وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ عَلَيْنَا الْاسْتِخْلَاصُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ أَيُّوبَ كَانَ يُؤْمِنُ بِتِلْكَ الْأَسَاطِيرِ. فَهُوَ فَقَطٌ يَتَحَدَّثُ إِلَى الثَّقَافَةِ. وَكَانَتْ ثَقَافَةُ ذَلِكَ الْعَصْرِ، ثَقَافَةُ عَصْرِ الشَّرْقِ الْأَدْنَى الْقَدِيمِ، كَانَتْ تُؤْمِنُ بِتَدْخُلِ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْأَسْطُورِيَّةِ فِي الْخَلْقِ، لِذَا ذَكَرَهُمْ أَيُّوبُ. لَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ عَلَيْنَا الْاسْتِخْلَاصُ أَنَّ أَيُّوبَ كَانَ يُؤْمِنُ بِهَا. عَلَى أَيِّ حَالٍ، بَدَأَ أَيُّوبُ كَمَا يَقُولُ: "حَتَّى آلِهَتِكُمْ الْمَزَيَّفَةُ، مَا نَفَعَهَا؟ كَيْفَ لَهَا أَنْ تُسَاعِدَ فِي ذَلِكَ هُنَا؟ يَقُولُ سِي. إس. لُويسَ بِهَذَا الشَّانِ: "هُنَاكَ بِالطَّبَعِ الْجَوَانِبِ الصَّحِيحَةِ فِي أُسَاطِيرِ الشَّرْقِ الْأَدْنَى الْقَدِيمِ. لَكِنَّهَا حُرِّفَتْ. وَتَمَّ تَحْوِيلُهَا إِلَى شَيْءٍ آخَرَ".

فِي الْوَاقِعِ الْمُرَادُ هُنَا هُوَ كَيْفَ يُمَكِّنُنَا تَوَقُّعُ سَمَاعِ اسْتِجَابَةٍ مِنْ كَائِنٍ قَدِيرٍ جِدًّا كَاللَّهِ، الْمُعْلَنِ عَنْهُ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَالَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ أَيُّوبُ؟ يُسَاورُكُمْ شُعُورٌ بِالْعَجْزِ، وَبِانْعِدَامِ الْأَهْمِيَّةِ. هُنَاكَ شَيْءٌ مِنَ التَّعَسُّفِيَّةِ الْآنَ فِي مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ. فِي الْآيَةِ ٢٠: "إِنْ تَبَرَّرْتُ بِحُكْمِ عَلَيَّ فَمَي، وَإِنْ كُنْتُ كَامِلًا يَسْتَدْنِبُنِي". "لَا أَسْتَطِيعُ الْاِنْتِصَارَ. حَتَّى وَإِنْ قُلْتُ الْحَقَّ. حَتَّى وَإِنْ كُنْتُ أَحَاجُّ اللَّهُ الْقَدِيرَ وَأَنْطِقُ بِالْحَقِّ، لِأَنَّهُ سَيَجْعَلُنِي أَبْدُو أَحْمَقًا". يَرُوقُ لِي كِتَابُ "الرِّسَالَةِ" (The Message) لِيُوجِبِينَ بِيْتْرُسُونَ، إِذْ يُعِيدُ صِيَاغَةَ الْأَصْحَاحِ ١٠، الَّذِي فِيهِ يُوَصِّلُ أَيُّوبُ حَدِيثَهُ. فَهُوَ يَقُولُ: فِي مَطْلَعِ الْأَصْحَاحِ ١٠: "قَدْ كَرِهْتُ نَفْسِي حَيَاتِي" فَيَبْدُو أَنَّهُ عَادَ إِلَى ذَلِكَ الْمَقْطَعِ فِي الْأَصْحَاحِ ٣. لَكِنَّ فِي الْآيَتَيْنِ ٢١ وَ ٢٢ يُخَيِّمُ الْأَصْحَاحُ بِقَوْلِهِ:

أَلَيْسَتْ أَيَّامِي قَلِيلَةً؟ ائْرُكْ! كُفَّ عَنِّي فَاتَّبَلَجْ قَلِيلًا، قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ وَلَا أَعُودَ. إِلَى أَرْضِ ظُلْمَةٍ وَظِلِّ الْمَوْتِ، أَرْضِ ظَلَامٍ مِثْلَ دُجَى ظِلِّ الْمَوْتِ وَبِلَا تَرْتِيبٍ، وَإِشْرَاقِهَا كَالدُّجَى.

فَيَقُولُ يُوْجِينُ بِيْتْرُسُونَ:

أَلَمْ يَجِنِ الْوَقْتُ لِلْاِنْسِحَابِ مِنْ حَيَاتِي؟ أَلَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تَبْسُطَ يَدَكَ، وَتَدْعَنِي أَنْتَسِمَ مَرَّةً وَاحِدَةً فَحَسْبُ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ وَأُدْفَنَ، وَقَبْلَ أَنْ يُسَمَّرَ نَعْشِي، وَيُعْلَقَ عَلَيَّ فِي الْأَرْضِ، وَأُنْفَى إِلَى الْأَبَدِ إِلَى أَرْضِ الْأَمْوَاتِ، وَتُعْمِيَنِي الظُّلْمَةُ الْأَبَدِيَّةُ؟

نَعَمْ، لِذَلِكَ تَمَّتْ أَيُّوبُ فِي أَنْ يَكُونَ لَهُ مُصَاحِبًا. هَذَا مَا يَسْتَطِيعُ الْأَلَمُ فَعْلُهُ، أَتَرُونَ؟ بِإِمْكَانِهِ جَعَلَكُمْ مُسْتَهْزِئِينَ، مُسْتَهْزِئِينَ بِاللَّهِ، وَبِعَدَمِ تَمْتُّعِكُمْ يَوْمًا بِالْعَدْلِ، وَمُسْتَهْزِئِينَ بِتَرْتِيبِ الْكُؤُنِ. أَوْ رَبَّمَا مُسْتَهْزِئِينَ بِمَوْقِفِ اللَّهِ

تُجَاهَكُمْ شَخْصِيًّا. رُبَّمَا تُؤْمِنُونَ أَنَّ الْإِنْجِيلَ يُنَاسِبُ الْآخِرِينَ، أَمَا فِي مَا يُخْصُكُمْ، يَبْدُو كُلُّ شَيْءٍ مَقْلُوبًا رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ. كُلُّ شَيْءٍ يَتَحَوَّلُ إِلَى، مَا يُسَمَّى "عَشَوَائِيَّةً" حِينَ يَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ بِكُمْ. فَقَدْ تَمَّتْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مُحَامٍ.

الآن، هَذَا مُهِمٌّ لِلْعَايَةِ هُنَا فِي الْآيَةِ ٣٣ مِنَ الْأَصْحَاحِ ٩: "لَيْسَ بَيْنَنَا مُصَالِحٌ". أَوْ أَنَّهَا أُمْنِيَّةٌ: "أَتَمَّتْ لَوْ كَانَ لِي مُصَالِحٌ". إِنَّ أَيْوَبَ لَا يَبْحَثُ عَنْ شَخْصٍ مَا يَغْفِرُ لَهُ خَطَايَاهُ. لَنَا وَسَيُطِّعُ مَعَ اللَّهِ، رَبَّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ بِإِمْكَانِكَ أَنْ تَجْرِي مِنْ هُنَا إِلَى الْعَهْدِ الْجَدِيدِ. بِإِمْكَانِكَ أَنْ تَجْرِي إِلَى الرَّبِّ يَسُوعَ. أَيْوَبُ تَمَّتْ لَوْ أَنَّ لَهُ مُصَالِحًا. تَمَّتْ لَوْ أَنَّ لَهُ مُدَافِعًا. تَمَّتْ لَوْ أَنَّ لَهُ مُحَامِيًّا. هَذَا مَا يَرَعَبُ فِيهِ. فَهُوَ يَرِيدُ شَخْصًا يَنْوُبُ عَنْهُ فِي دَارِ الْقَضَاءِ، لِيَعْرِضَ قَضِيَّتَهُ. كَمَا تَمَّتْ لَوْ يَجِدُ أَحَدًا. وَيُمْكِنُكُمْ الْقَوْلُ إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ هُوَ الْمُدَافِعُ عَنَّا. وَهُوَ مُحَامِينَا. وَهُوَ مُمَثِّلُنَا وَالتَّائِبُ عَنَّا. لَكِنَّهُ مُمَثِّلٌ وَتَائِبٌ بِأَيِّ مَعْنَى؟ فَأَيْوَبُ لَا يَبْحَثُ عَنْ شَخْصٍ لِيَغْفِرَ لَهُ خَطَايَاهُ. لَيْسَ هَذَا مَا يَعْنِيهِ. فَوُجْهَةٌ نَظَرِهِ هِيَ أَنَّهُ عَلَى حَقٍّ. "فَمَنْ سَوْفَ يَرْفَعُ دَعْوَايَ؟"

أَفَكَّرْتُ فِي امْرَأَةٍ جَمِيلَةٍ فِي مَدِينَةِ مَمْفِيسَ، تَعَرَّضْتُ لِأَمْرِ بَالِغِ السُّوءِ. وَأَفَكَّرْتُ فِي مُرَاهِقِ سَتِيمٍ مِنَ التَّعَرُّضِ لِلظُّلْمِ، وَأَفَكَّرْتُ فِي أَرْمَلَةٍ تَكَلَّى فَقَدَتْ شَرِيكَ حَيَاتِهَا، وَتَوَاجَهَ الْمُسْتَقْبَلِ الَّذِي يَبْدُو أَنَّهُ مُمْتَلِئٌ، بِالظُّلْمَةِ وَعَدَمِ الْيَقِينِ. وَأَفَكَّرْتُ فِي أُسْرَةٍ تُحَاوِلُ لِمَلَكَةٍ أَشْلَاقِهَا بَعْدَ مَا انْتَحَرَ ابْنُهَا الْمُرَاهِقُ. قَصَبَةٌ مَرُضُوضَةٌ، وَفَتِيلَةٌ مُدَحَّخَةٌ. لَكِنِّي أَقُولُ إِنَّ لَنَا مُخْلَصًا يَشْفِي الْقَلْبَ الْمَكْسُورَ. نَحْنُ لَا نَتَحَدَّثُ هُنَا عَنْ شَخْصٍ يَأْتِي وَيَغْفِرُ خَطَايَانَا. بِالطَّبَعِ هُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ، لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ الْمُرَادُ هُنَا. الْمَقْصُودُ هُوَ أَنَّ أَيْوَبَ يَقُولُ هُنَا: "أَتَمَّتْ لَوْ كَانَ لِي شَخْصٌ مَا يُجَاجِحُ بِقَضِيَّتِي، شَخْصٌ يَقْدِرُ أَنْ يُمَثِّلَ دَعْوَايَ أَمَامَ اللَّهِ". وَالرَّبُّ يَسُوعَ يَفْعَلُ ذَلِكَ. لَقَدْ كَانَ فِي مَكَانٍ حَيْثُ عَابَتِ الْعَدَالَةُ. كَانَ فِي الْمَكَانِ حَيْثُ تَعَرَّضَ لِلْعُنْفِ وَالْأَذَى. لَقَدْ كَانَ فِي مَكَانٍ صَرَخَ فِيهِ قَائِلًا: "إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟" فَهُوَ مَنْ تَعَرَّضَ لَوْحْشِيَّةِ هَذَا الْعَالَمِ وَظُلْمِهِ. لَذَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَثِّلَنَا. فَهُوَ يَسْمَعُكُمْ حِينَ تَصْرُخُونَ إِلَيْهِ، وَحِينَ يَبْدُو أَنَّكُمْ قَدْ فَقَدْتُمْ كُلَّ رَجَاءٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ. فَتَحْنُ لَنَا مُدَافِعٌ وَوَلِيٌّ مَعَ اللَّهِ الْآبِ، رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ الْبَارُّ.

الدُّكْتُورُ دِيرِيكُ تُوْمَاسُ هُوَ الرَّاعِي الْأَسَاسِيُّ لِلْكَنِيسَةِ الْمَشِيخِيَّةِ الْأُولَى فِي مَدِينَةِ كُولُومْبِيَا، بِوِلَايَةِ سَاوْتِ كَارُولَايْنَا، وَأُسْتَاذُ اسْتِشَارِيٍّ لِعِلْمِ اللَّاهُوتِ النِّظَامِيِّ وَالرَّعَوِيِّ فِي كَلِيَّةِ اللَّاهُوتِ الْمُصْلِحَةِ. وَهُوَ عَضُو هَيْئَةِ التَّدْرِيسِ فِي خِدْمَاتِ لِيْجُونِيرَ، وَقَدْ كَتَبَ الْعَدِيدَ مِنَ الْكُتُبِ، بِمَا فِي ذَلِكَ كِتَابُ "كَيْفَ يَقُودُنَا الْإِنْجِيلُ إِلَى مَوْطِنِنَا" (How the Gospel Brings Us All the Way Home).